

معاناة...

... وابتعد مما وعته الاساطير اهوالك

احزن مما يبالي القمر

اعيش على الوهم عمري ..

على ما يلون لي من صور

وتعلم عيناك ، ان السفينة تنظر

في غرفة اليوم دعوة مرفئها المنتظر

وان ليالي في سرحة الموح احلام اشرة

ضارعات الصواري ..

تبوح حزن المطر

وتعلم عيناك ان الجراح بصدري

وفوق جيبني كشار

واني بحار حزن يغرب بين البحار

واني في صمت رحلتي الشارده

احن لعينيك ، للنظرة الطفلة الواعده

يميننا ، وعمر الليالي حنين

وقلب الليالي ضنين ،

يميننا بعينيك اني اكابر ، تذبطني اللهفة المارده

ويوما لمحتك عبر سراي

وعشت بعينيك عمر عذاب ، يعني عذابي

شعرت بانك يا ما تعانين من وقع لحني

وانك مثلي - اثيرة عيني -

تطوف بجفنيك الوان حزني

ويوما شعرت - وباما شعرت ، باني ..

وابعد مما وعته الاساطير اهوالك

ابتعد مما يقولون عنك وعني

فايز ملص

دمشق

ذلك الذي اشارت اليه انفسه الوجودية من كونه مرادفا للشعور بالحرة وتقبل المسؤولية . فالنضج النفسي لا يتم الا بعد ان ينفذ الفرد الى اعمال ذاته بخبراته وافماله ويكشف حقيقة نفسه كفرد مميز اوحد يختلف عن كل مصدر تعلم في كفه . وليس من شك ان هذا الشعور بالفرد والتمايز عن الغير من شأنه ان يحمل الفرد على الشعور بالقلق والخوف من العدم ، ولكن هذا هو الباعث على الفعل والوجود . فكما ان « اوريستز » في الاسطورة الاغريقية لم يحقق وجوده كإنسان الا بعد ان استقل عن سيطرة امه « كليتمسترا » ، ولم تحكم له الالهة بالعبث الا بعد ان عذبه القلق بسبب ما اقدم عليه من فعل ، وكذلك مصير كل انسان . انه لن يحقق وجوده وحريته الا حينما يشعر بانه كائن متفرد وان ذاته ليس لها نظير ، وان عليه وحده تقع مسؤولية وجوده .

وكما تصور اسطورة « اوريستز » ارتباط القلق بالاستقلال وملازمته للحرة ، تكشف اسطورة الخلق عن صدق الدليل على ترادف المسؤولية بالحرة . ان ادم وحواء في اسطورة الخلق لم يدخلوا في اعتبار التاريخ ولم يحققا وجودهما الا بعد قبولهما للمسؤولية : « بقرق جيبنيك تاكل خبزك » . كانت هذه المسؤولية هي النتيجة الحتمية لممارسة الحرية في عصيان يهوه . وهكذا سقطا وطردا من الجنة ليكتب لهما تاريخ . فالاسطورة في الواقع لا تمثل سقوط الانسان وانما ارتقاه واستقلاله . فالسقوط هنا - على حد تعبير كير كجارد - سقوط الى اعلى .

ولما كان البحث عن حقيقة النفس يكشف عن ذات فريدة في حالة صيرورة دائمة فان تطورها بالخلق والابتكار يصبح ممكنا . كل انسان يستطيع ان يصبح كبروميتيوس الذي سرق النار المقدسة وتقبل في سبيل ذلك عذاب الصلب على جبال القوقاز حيث كانت الطيور الجارحة تنفذ على كبده . فالنار ترمز الى الخلق لانها الوسيلة التي يسرت للانسان التفوق في العلوم والفنون . وكل ذات تقدم على الخلق على هذا النحو تتعالى على نفسها وتصبح خالدة في الزمن كما يتبين من تحليل الشيطان زمتا طويلا ، وانفق ما يستطيع لاغوائه ، ولكنه لم يظفر بنفس شخصية « فاوست » في المسرحية التي كتبها « جوتة » . لقد حاوره فاوست لانه مازال على كلفه باللذة طامحا الى شيء عجز الشيطان عن ان يوصله اليه ، وذلك هو مقدرة النفس على الخلق والابتكار .

يستطيع الانسان ان يحقق وجوده بنفسه ، وان يجعل لحياته اهداف الخلق والابداع ، وان يلصق بعالمه معنى ومغزى . ان يستطيع ان يختار هذا او يحجم عنه مفضلا الاحتماء بالمجموع ليحقق له الامن والراحة او الكسب ، ولكن مصيره حينذاك يكون كمن كسب العالم كله وخسر نفسه .

والعلاج النفسي لا يمكن ان يتجاهل هذه المفاهيم الجديدة التي خلقت منها نظريات التحليل النفسي والتشريط ، وهي - عند كير كجارد على الاقل - تنطوي على قدر كبير من التفاؤل بمستقبل الانسان كما تفسر الاسباب التي حملت انسان القرن العشرين على فقد الثقة بالقيم التي خلفتها الفلسفة المثالية والفلسفة العقلية فاحس بالصياح والفراغ والقلق . ان التيار الوجودي في العلاج النفسي يعملنا على اعتبار وجهة نظر المريض وعالمه وخبرته الذاتية اساسا للبحث عن حقيقة النفس، وان ذات الانسان لا ينسب فهمها صحيحا الا من الداخل. من الفعل والاختيار والاستقلال. وما القلق او التوتر والمدوان الا مظاهر عادية تشكل الواجهة الخلفية لحرية الفرد ووجوده . ولذلك لا يمكن ان يقتصر العلاج النفسي على « تحليل » او « تكيف » هذه المظاهر او التخلص منها لانها اساس الوجود الانساني . ولكن مازال هذا الاتجاه الجديد بحاجة الى منهج علاجي يقوم بترجمة المفاهيم الوجودية الى خطة عملية يمكن للمعالج النفسي ان يستخدمها ويتحقق عن طريقها من صدق اثر هذه المفاهيم في تطور العلاج النفسي وتقدمه .